

يصبح الوباء لحظة حرجة، لحظة حقيقة، وأزمة نموذجية : ينتقل الكاتب أمام المجتمع المصدوم من دور المراقب إلى دور الواعظ، وحتى دور الرقيب.

– المخطط الأول أو الفرضية الأولى :

ننتقل من المعلومات المستخلصة من الفهرس (وقراءات النصوص) إلى مخطط أول للمسار، أو فرضية أولى (انظر الفصل الأول)، ضمن الحد الذي ترتسم فيه نقاط التقاء يمكن تحويلها إلى مسارات للدراسة. تظهر الكتابات عن الوباء ثلاثة أزمدة للدراسة : البحث عن أسباب الأمراض، والشروط الحاسمة أو المساعدة، والبحث الوبائي الذي يؤدي إلى تشخيص المرض، وجمع الأعراض، وأخيراً الإجراءات الطبية. مارس الطب، لحقبة طويلة، علم تشخيص مرضي خارجي أقام عليه علم تصنيف أمراض سريري (أو دراسة الأمراض)، قبل اكتشاف علم التصنيف التشريحي، مما ساعد على التعرف على حد مزدوج، ضمن نصوص مثل نصوص العصر القديم أو غيرها : كشف الآثار الواضحة، ووصف المرض، والتخلي سريعاً عن التدوين الصعب أو الذي من المستحيل القيام به. هناك سؤال في الشعرية : كيف يجتمع تشخيص المرض مع التخيل؟ تحاول الروح، من خلال البحث عن الأسباب، الانتصار على اليأس وما هو عصي على الفهم، وهذا أيضاً عنصر من عناصر تعريف الوباء المرئي، الكلي الوجود ودون تفسير، والأسوأ من ذلك أنه لا يمكن الفرار منه. ضمن المجتمعات التي تقوم على عقيدة سماوية، يعطي الوباء قيماً رمزية مثل كونه مظهراً من مظاهر سخط الآلهة وقدرتهم^(١) نتعلم أيضاً كيف يحاول التفسير استغلال المدال العلمي أو العلمي المنتحل (من أجل روح حديثة) : فساد الهواء، واختلال الفصول، نظرية (الأبخرة الفاسدة) التي صاغها الطبيب الصقلي فراسكاتور، العلم والخرافة اللذان يربطان بين الوباء ومرور نجم (اعتقاد مثبت في - الهوصار على السقف، ومعرفة تسمح بتقويم ما هو مختلف عن غيره)، وأخيراً الشائعات والذعر الجماهيري، آبار مسمومة، وناشرو الطاعون. انتقلنا من الطب إلى النفسية الجماعية التي يتكفل الأدب بتسجيل تطورها^(٢)

القراءات، والبحوث ضرورية لكنها لسيت كافية من أجل تجنب الأخطاء، والسذاجات، ومن أجل عدم الاقتصار على الاستخدام (اللفني) للوباء في الأدب

^(١) انظر بداية مسرحية سوفوكليس - أوديب ملكاً - وانظر أيضاً المعهد القديم والجديد، uc، L، XXI،
مثلاً،

^(٢) انظر أيضاً الرأي العام وتطوره في ماتومسك لجيونو.